التبيان فى حكم التغنى بالقرآن

إعداد

الدكتور/ أسامه أحمد منصور مؤمن

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرفنا بحمل كتابه الكريم ، وفضلنا به على كثـــير من العالمين ، وآتانا به ما لم يؤت أحداً من العالمين ، والصلاة والســـلام على خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلـــى آلـــه وصحبـــه أجمعين .

وبعد ،،

فهذا بحث عن طلب تحسين الصوت والتطريب والتغنى بـــالقرآن وحكم القراءة بالألحان

فأقول وبالله التوفيق

قد كان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان ، فحكى عبد الوهاب المالكى عن مالك تحريم القراءة بالألحان وحكاه أبو الطيب الطبرى والماوردى وابن حمدان الحنبلى عن جماعة من أهل العلم ، وحكى ابن بطال وعياض والقرطبى من المالكية والماوردى والبندنيجى والغزالى من الشافعية وصاحب الذخيرة من الحنفية الكراهة ، واختاره أبو يعلى وابن عقيل من الحنابلة، وحكى ابن بطال عن جماعة من الصحابة والتابعين الجواز وهو المنصوص للشافعى ، ونقله الطحاوى عن الحنفية ، وقال الفورانى من الشافعية في الإبانة : يجوز بل يستحب ومحل هذا الاختلاف إذا لم يخل شئ من الحروف عن مخرجه فلو تغير قال النووى في التبيان : أجمعوا على تحريمه ولفظه : أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم قال : وأما القراءة بالألحان فقد نص الشافعى فى موضع على كراهته وقال في موضع آخر : لا بأس به . فقال أصحابه : ليس على اختلاف قولين ، بل على اختلاف حالين فإن لم يخرج بالألحان على المنهج القويم جاز وإلا حرم ، حكى الماوردى عن الشافعى أن القراءة بالألحان إذا انتهت إلى إخراج بعض الألفاظ عن مخارجها حرم ، وكذا حكى ابن حمدان الحنبلى في الرعاية وقال الغزالى والبندنيجى وصاحب الذخيرة من الحنفية : إن لم يفرط في التمطيط الذي يشوش النظم استحب وإلا فلا ، وأغرب الرافعى فحكى عن أمالى السرخسى أنه لا يضر التمطيط مطلقاً وحكاه ابن حمدان رواية عن الحنابلة وهذا شذوذ لا يعرج عليه ، والذى يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب فأن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك وإن خرج منها أثر ذلك في حسنه وغير الحسن ربما انجبر بمراعاته ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على من راعى الأنغام ألا يراعى الأداء ، فإن وجد من يراعيهما معاً فلا شك في أنه أرجح من غيره لأنه يأتى بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء والله أعلم [١]

وامتد هذا الخلف حتى وصل إلى عصرنا ، فكتب فيه من كتب كارهاً ، مانعا أو مجوزا ، فممن منعوه وتشددوا في المنع العلامة الشيخ

[١] فتح البارى ١٩/٨٦،٨٧ .

محمد أبو زهرة [٢] وغيره وممن جوزه الشيخ رشيد رضا [٣] ، والسيد لبيب السعيد [٤] ، والدكتور أحمد عبد المنعم البهى [٥] وغيرهم .

وإذا كان بعض الأقدمين قد كرهه استنادا إلى فهمهم لبعض كلمات أو عبارات وردت في بعض الأحاديث ، وخوفهم من أن بعض القراءات بالألحان قد تؤدى إلى همز ما ليس بمهموز ، ومد ما ليس بممدود ، وترجيع الألف الواحد ألفات ، والواو واوات ، والياء ياءآت ، فيؤدى ذلك إلى زيادة في القرآن ، فإن بعض المحدثين - مما يؤسف عليه - ذهبوا إلى محاولة نفى الأحاديث الصحيحة الثابتة عن المصطفى ﷺ واستدلوا بأحاديث ضعيفة وبنوا أحكامهم عليها ، وهذه - كما هو معلوم - بلية كبيرة نسأل الله سبحانه أن ينجينا إياها ، ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

ومعلوم أن مثل هذه الأمور إنما تثبت أو تنفى بالرجوع إلى سنة المصطفى ﷺ ومعرفة صحيحها من سقيمها ، ودراسة الأحاديث والأدلة التي استند إليها الفريقان ، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز بطاعة رسوله محمد ﷺ أمينه على وحيه وخيرته من خلقه ، وسفيره بينه وبين عباده ، وقرن طاعة رسوله بطاعته في العديد من الآيات الكريمة [٦] كما ذكر هذه الطاعة مفردة في العديد من الآيات الكريمات أيضا [٧] . فليس لمؤمن أن يختار شيئا بعد أمره ﷺ ، بل إذا أمر فأمره حتم ، وإنما الخيرة في قول غيره إذا خفى أمره ، وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته ، فبهذه الشروط - عندئذ - يكون قول غيره سائغ الاتباع لا واجب الاتباع ، فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه بل غايته أنه يسوغ له اتباعه ، ولو ترك الأخذ بقول غيره، لم يكن عاصيا لله ورسوله .

[٢] في كتابه : المعجزة الكبرى القرآن : نزوله ، كتابته ، جمعه ، إعجازه ، جدله ، علومه ، تفسيره ، حكم الغناء به ، ص ٦٢٠ فما بعد (القاهرة ١٩٧٠) وهو مثبت في ملحق هذا البحث .

[٣] أنظر تفسير المنار : ٩ / ٥١٠ .

[٤] في كتابه : الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم (القاهرة ١٩٦٧).

[٥] في مقاله : " تلحين القرآن وترنيم الأذان " المنشور في مجلة العربى ، العدد ١١٣ محرم ١٣٨٨ / نيسان ١٩٦٨ .

[٦] النساء : ٥٩ ، ٦٩ ، والأنفال : ٢٠ ، والأحزاب : ٣٦ وغيرهن .

[٧] النساء : ٦٥ ، ٨٠ ، والحشر : ٧ وغيرهن .

وقد وفقنى الله سبحانه وتعالى إلى دراسة الأحاديث الواردة في هذا الموضوع ، فثبت عندى من حديثه ﷺ - بحمد الله ومنه - ضرورة تحسين الصوت والتطريب والتغنى بالقراءة للقرآن الكريم ، ولم يثبت عندنا حديث واحد في منع ذلك أو كراهته مما يمكن أن ترد به تلك الأحاديث الصحيحة الثابتة .

فأحببت أن ينتفع بذلك طلبة العلم وكل محب لكتاب الله والإنصات إليه والحنين إلى سماعه ، فضلا عما سأسوقه من أقوال الصحابة والتابعين وأدلة العلماء المتشبعين بسنة المصطفى ﷺ وما أبينه من العلل في الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله ﷺ التي استدل بها بعض العلماء في النكير على من جوز ذلك ، وإليك أدلة ذلك :

الدليل الأول :

أخرج أحمد [٨] في مسنده ، والبخارى [٩] ومسلم [١٠] في صحيحيهما ، والنسائى [١١] في السنن من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لم يأذن الله لشئ ، ما أذن لنبى أن يتغنى بالقرآن " .

وقد اختلف العلماء في معنى قوله ﷺ " يتغنى " على وجهين رئيسين :

أ-الاستغناء به ، وهو من الاستغناء الذي ضد الافتقار ، لا من الغناء ، يقال : تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت ، وتغانوا ، أى استغنى بعضهم عن بعض . وإلى هذا التأويل ذهب سفيان بن عيينة ، كما صرح به البخارى [١٢] وغيره ، إذ قال بعد أن ساق هذا الحديث من طريق سفيان عن الزهرى ، قال : قال سفيان / تفسيره يستغنى به . وكان يقول في حديث : "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" [١٣] ليس منا من لم يستغن بالقرآن

---

(٨) مسند أحمد : ٢/٢٧١ و ٢٨٥ و ٤٥٠ .

(٩) صحيح البخارى : ٦/٢٣٥ و ٢٣٦ و ٩،١٧٣ و ١٩٣ ، وهى في فتح البارى بالأرقام ٥٠٢٣ و ٥٠٢٤ و ٧٤٨٢ و ٧٥٤٤ .

(١٠) صحيح مسلم : ٢/١٩٢ (ط . مصر) ورقم (٧٩٢) من طبعة محمد فؤاد عبد الباقى .

(١١) المجتبى : ٢/١٨٠ بشرح السيوطى .

(١٢) فتح البارى (٥٠٢٤) .

(١٣) سيأتى تخريجه والكلام عليه .

عن غيره ، ولم يذهب به إلى الصوت[١٤] . ونصره في ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام ، فقال : وهذا جائز فاش في كلام العرب ، تقول : تغنيت تغنيا بمعنى استغنيت وتغانيت تغانيا أيضا ، واستدل بقول الأعشى [١٥]:

وكنت امرءا زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل التغن

كما استدل بقول الشاعر : [١٦]

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

وبهذا أيضا قال وكيع بن الجراح ، ولعله اختيار محمد بن إسماعيل البخارى لإتباعه ترجمة الباب [١٧] بقوله تعالى : " أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم " [١٨] . وقال أبو العباس ثعلب : " الذي حصلناه من حفاظ اللغة في قوله ﷺ " كأذنه لنبى يتغنى بالقرآن " أنه على معنيين : على الإستغناء ، وعلى التطريب ، قال الأزهرى : فمن ذهب به إلى الإستغناء فهو من " الغنى " مقصور ، ومن ذهب به إلى التطريب فهو من " الغناء " الصوت ، ممدود [١٩] .

ب . تحسين الصوت ، والتحزن به ، والتلذذ والإستحلاء ، كما يستلذ أهل الطرب بالغناء ، فأطلق عليه تغنيا ، من حيث أنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء ، كما سيأتى مفصلا .

وتفسير سفيان بن عيينة ومن تابعه مردود من عدة وجوه نذكر منها ما يتيسر :

١-إن مسلم بن الحجاج أخرج في صحيحه هذا الحديث بلفظ آخر صرح فيه بحسن الصوت ، فقال : حدثنى بشر بن الحكم ، قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، قال : حدثنا يزيد وهو ابن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم (التيمى) عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " ما أذن الله لشئ ، ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به " [٢٠] .

---

(١٤) أنظر (غنا) من لسان العرب .

(١٥) البيت في ديوانه : ٢٥ .

(١٦) البيت في الحماسة البصرية ٢/٥٥ ، والأغانى : ١٣/١٢٧ للأبيرد ، وفى ذيل الأمالى : ٧٣ لسيار بن هبيرة ، وفى الكامل : ١/١٨٤ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

(١٧) البخارى : ٦/٢٣٥ ، والفتح : ٩ / ٨٣ .

(١٨) العنكبوت : ٥١ .

(١٩) أنظر : النهاية لابن الأثير ، ولسان العرب ومعجمات اللغة في (غنا) .

(٢٠) صحيح مسلم : ٧٩٢ .

قال في عون المعبود : وقوله يتغنى بالقرآن معناه عند الشافعى وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون : يحسن صوته به .

٢-وروى عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهرى في حديث الباب بلفظ: " ما أذن الله لشئ ما أذن لنبى في الترنم في القرآن " أخرجه الطبرى . وعنده في رواية عبد الرزاق عن معمر ، عن الزهرى : " ما أذن لنبى حسن الصوت " - أى كما أوردناه من صحيح مسلم - ووقع عند أبى داود والطحاوى من رواية عمرو بن دينار ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة : " حسن الترنم بالقرآن " [٢١].

قال الطبرى : ومعقول عند ذى الحجا أن الترنم لا يكون إلا بالصوت إذا حسنه المترنم وطرب به [٢٢] .

٣-وأخرج البخارى[٢٣] هذا الحديث في موضع آخر ، ومسلم [٢٤] ، من حديث أبى سلمة ، عن أبى هريرة أنه سمع النبى ﷺ يقول : " ما أذن الله لشئ ، ما أذن لنبى حسن الصوت بالقرآن يجهر به " .

وأخرج البخارى [٢٥] في موضع آخر من صحيحه من طريق الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عبارة " يجهر به " خارجة عن قول النبي ﷺ فقال إثر روايته الحديث: "وقال صاحب له يريد يجهر به"

قال الحافظ ابن حجر : فإنها إن كانت مرفوعة قامت الحجة وإن كانت غير مرفوعة فالراوي أعرف بمعني الخبر من غيره لا سيما إذا كان فقيها وقد جزم الحليمي أنها من قول أبي هريرة، والعرب تقول : سمعت فلانا يتغنى بكذا أي يجهر به ، ومنه قول ذي الرمة

أحب المكان القفر من أجل أنني ... به أتغني باسمها غير معجم

أي أجهر ولا أكني [٢٦]

وقال الطبري : وهذا الحديث من أبين البيان أن ذلك كما قلنا ولو كان كما قال ابن عيينة - يعني : يستغني به عن غيره - لم يكن لذكر

(٢١) انظر فتح البارى : ٩ / ٨٧ .
(٢٢) زاد المعاد : ٤٨٦/١ - ٤٨٧ ، وفتح البارى : ٩/ ٨٧ .
(٢٣) صحيح البخارى(٧٥٤٤) .
(٢٤) صحيح مسلم : ٧٩٢ (٢٣٣) (٢٣٤) .
(٢٥) البخارى (٥٠٢٣) .
(٢٦) فتح البارى : ٩/ ٨٨ .

حسن الصوت والجهر به معني. والمعروف في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع ، قال الشاعر [٢٧]

تغن بالشعر إما كنت قائله ... إن الغناء لهذا الشعر مضمار [٢٨]

٤-وسئل الشافعي رحمه الله عن تأويل ابن عيينة ، فقال نحن أعلم بهذا، لو أراد به الاستغناء لقال: لم يستغن بالقرآن ولكن لما قال يتغني بالقرآن علمنا أنه أراد به التغني [٢٩]

٥-وقال عمر بن شبه : ذكر لأبي عاصم النبيل - الضحاك بن مخلد تأويل ابن عيينة، فقال لم يصنع ابن عيينة شيئا [٣٠]

٦-وممن أنكر تفسير يتغنى بيستغني أيضا الإسماعيلي، فقال: الاستغناء به لا يحتاج إلي استماع لأن الاستماع أمر خاص زائد علي الاكتفاء به وأيضا: فالاكتفاء به عن غيره أمر واجب علي الجميع ومن لم يفعل ذلك خرج عن الطاعة ثم ساق الإسماعيلي من وجه آخر عن ابن عيينة قال: " يقولون إذا رفع صوته فقد تغني" [٣١]

٧-قال الطبري: وأما إدعاء الزاعم أن تغنيت بمعني استغنيت فاش في كلام العرب فلم نعلم أحدا قال به من أهل العلم بكلام العرب. وأما احتجاجه لتصحيح قوله بقول الأعشى:

وكنت امرءاً زمنا بالعراق ... عفيف المناخ طويل التغن

وزعم أنه أراد بقوله: طويل الاستغناء فإنه غلط منه وإنما عني الأعشى بالتغني في هذا الموضوع : الإقامة، من قول العرب: غني فلان بمكان كذا : إذا أقام به ، ومنه قوله تعالي (كأن لم يغنوا فيها) [٣٢] واستشهاده بقول الآخر:

كلانا غني عن أخيه حياته ... ونحن إذا متنا أشد تغانيا

فإنه إغفال منه، وذلك لأن التغانى تفاعل من تغني : إذا استغني كل واحد منهما عن صاحبه،كما يقال: تضارب الرجلان، إذا ضرب كل واحد منهما صاحبه، وتشاتما، وتقاتلا ومن قال: هذا اثنين لم يجز أن يقول مثله في فعل الواحد، فيقول: تغانى زيد وتضارب عمرو، وذلك غير جائز

(٢٧) البيت لحسان بن ثابت ، وهو فى ديوانه : ٤٢٠ .
(٢٨) زاد المعاد : ٤٨٦/١ -٤٨٧ ، وفتح البارى : ٩ / ٨٧ .
(٢٩) القرطبى : ١٣/١ ، وزاد المعاد : ٤٨٩ .
(٣٠) نفسه .
(٣١) فتح البارى : ٩ / ٨٨ .
(٣٢) الأعراف : ٩٢ .

أن يقول: تغني زيد بمعني استغني، إلا أن يريد به قائله أنه أظهر الاستغناء وهو غير مستغن، كما يقال: تجلد فلان، إذا أظهر جلدا من نفسه وهو غير جليد ، وتشجع، وتكرم ، فإن وجه موجه التغني بالقرآن إلي هذا المعني علي بعده من مفهوم كلام العرب كانت المصيبة في خطئه في ذلك أعظم، لأنه يوجب علي من تأوله أن يكون الله تعالي ذكره لم يأذن لنبيه أن يستغني بالقرآن وإنما أذن له أن يظهر من نفسه لنفسه خلاف ما هو به من الحال وهذا لا يخفي فساده [٣٣]

٨-وقال الطبري أيضا: ومما يبين فساد تأويل ابن عيينة أيضا أن الاستغناء عن الناس بالقرآن من المحال أن يوصف أحد به أنه يؤذن له فيه أو لا يؤذن إلا أن يكون الأذن عند ابن عيينة بمعني الإذن الذي هو إطلاق وإباحة [٣٤] ، وإن كان كذلك، فهو غلط من وجهين، أحدهما من اللغة ، والثاني من إحالة المعني عن وجهه أما اللغة فإن الأذن مصدر قوله أذن فلان لكلام فلان فهو يأذن له: إذا استمع وأنصت ، كما قال تعالي (وأذنت لربها وحقت) [٣٥] بمعني: سمعت لربها وحق لها ذلك، كما قال عدي بن زيد :

أن همي في سماع وأذن [٣٦]

بمعني: في سماع واستماع فمعني قوله : (ما أذن الله لشيء) إنما هو : ما استمع الله لشيء من كلام الناس ما استمع لنبي يتغني بالقرآن.

وأما الإحالة في المعني فلان الاستغناء بالقرآن عن الناس غير جائز وصفه بأنه مسموع ومأذون له [٣٧]

٩- ومع إن الحافظ ابن حجر حاول جاهدا الدفاع عن تفسير سفيان بن عيينة ومن تابعه لكنه لم ينكر أيضا أنه أيضا بمعني تحسين الصوت به والجهر والترنم عن طريق التحزين لتضافر ظواهر الأخبار الصحيحة علي ترجيح هذا المعني فقال "والحاصل أنه يمكن الجمع بين أكثر التأويلات المذكورة وهو أنه يحسن به صوته جاهرا به

---

(٣٣) زاد المعاد : ١/٤٨٧- ٤٨٨ .

(٣٤) بل أجمع العلماء على أن معناها الإستماع ، كما في شرح البخاري ومسلم ومعجمات اللغة .

(٣٥) الإنشقاق : ٢ .

(٣٦) هو في ديوانه :١٧٢ وهو عجز بيت صدره : أيها القلب تعلق بدن .

(٣٧) زاد المعاد : ١/٤٨٧ - ٤٨٨ ، والقرطبي : ١٣/١ ، وفتح الباري : ٩ / ٨٨ .

مترنما علي طريق التحزن مستغنيا به عن غيره من الأخبار طالبا به غني النفس، راجيا به غني اليد وقد نظمت ذلك في بيتين

تغن بالقرآن حسن به الصوت حزينا جاهراً رنم
واستغن عن كتب الألي طالبا غني يد والنفس ثم الزم [٣٨]

١٠- إذا جمعت هذه الآراء والتأويلات إلي الأحاديث الصحيحة التي سوف نسوقها بعد قليل تبين صحة تأويل [٣٩] من قال أنه بمعني تحسين الصوت والتطريب والغناء المعقول الذي هو تحزين القارئ سامع قراءته كما أن الغناء بالشعر هو الغناء المعقول الذي يطرب سامعه

الدليل الثاني:

أخرج أحمد [٤٠] في مسنده والبخاري [٤١] ومسلم [٤٢] في صحيحهما وأبو داود [٤٣] في السنن من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه ، قال : "رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو علي ناقته - أو جمله - وهي تسير به / وهو يقرأ سورة الفتح - أو من سورة الفتح - قراءة لينه، يقرأ وهو يرجع " وبين عبد الله بن مغفل رضي الله عنه كيفية ترجيعه وأنه آ آ آ ثلاث مرات، قال شعبة عن معاوية بن قرة المزني راوي الحديث عن عبد الله بن مغفل ثم قرأ معاوية، يحكي قراءة ابن مغفل وقال : لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي النبي ﷺ فقلت لمعاوية: كيف كان ترجيعه قال: آ آ آ ثلاث مرات، أخرجه البخاري [٤٤] ومسلم [٤٥] في صحيحهما

وزعم القرطبي أن ذلك محمول علي إشباع المد في موضعه ويحتمل أن يكون حكاية صوته عند هز الراحلة ، كما يعتري رافع صوته إذا كان

---

(٣٨) فتح الباري : ٩ / ٨٨ .

(٣٩) استعمل السلف التأويل بمعنى : التفسير .

(٤٠) مسند أحمد : ٤/٨٥ و ٥/٥٤ و٥٥و ٥٦ .

(٤١) البخاري : ٥/١٨٧ و٦ /١٦٩ و٢٣٨ و٢٤١ و٩/١٩٢ .

(٤٢) مسلم : ٢/١٩٣ (٧٩٤) ٢٣٧ ،٢٣٨، ٢٣٩ .

(٤٣) أبو داود (١٤٦٧) .

(٤٤) في التوحيد ، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه ٩/١٩٢ (فتح الباري حديث رقم ٧٥٤٠) .

(٤٥) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة (٧٩٤) ٢٣٧ و ٢٣٨ من طبعة عبد الباقي

راكبا من انضغاظ صوته وتقطيعه لأجل هز المركوب وإذا احتمل هذا فلا حجة فيه [٤٦]

وهذا الذي ذهب إليه القرطبي - رحمه الله - مرجوح بمن هو أفضل منه في فهم حديث رسول الله ﷺ قال العلامة ابن القيم : " إن هذا الترجيع منه ﷺ كان اختيارا لا اضطرار لهز الناقة له، فإن هذا لو كان لأجل هز الناقة لما كان داخلا تحت الإختيار فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليؤتسي به وهو يري هز الراحلة له حتى يتقطع صوته ، ثم يقول : كان يرجع فى قراءته ، فنسب الترجيع إلى فعله ولو كان من الراحلة لم يكن منه فعل يسمي ترجيعا[٤٧]

وقال الحافظ ابن حجر متعقبا القرطبي وهذا فيه نظر لأن في رواية علي بن الجعد عن شعبة عند الإسماعيلي: وهو يقرأ قراءة لينة فقال : لولا أن يجتمع الناس علينا لقرأت ذلك اللحن وكذا أخرجه أبو عبيده في (فضائل القرآن) عن أبي النضر عن شعبه[٤٨]

الدليل الثالث

أخرج البخاري [٤٩] ومسلم [٥٠] والترمذى[٥١] من حديث أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبي موسى/ لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود

وأخرج البيهقي[٥٢] بإسناد مسلم نفسه (داود بن رشيد ، قال : حدثنا يحي بن سعيد قال : حدثنا طلحه، عن أبي بردة عن أبي موسى) زيادة أنه قال لرسول الله ﷺ (لو علمت لحبرته لك تحبيرا) وقد نص البيهقي على أن هذه هى رواية مسلم ، ومع أن الزيادة ليست فيه ، فهى زيادة صحيحة لوردوها بالإسناد نفسه، فكأن مسلما اقتصر منه علي ما ذكر.

---

(٤٦) القرطبى : ١/ ١٥ .
(٤٧) زاد المعاد: ١/٤٨٣ - ٤٨٤
(٤٨) فتح الباري: ٨ /٧٥١
(٤٩) البخاري : ٦/٢٤١ رقم ٥٠٤٨ في الفتح
(٥٠) مسلم :٢/١٩٣ = ٧٩٣ (٢٣٦) من طبعة عبد الباقي
(٥١) الترمذي (٣٨٥٥)
(٥٢) سن البيهقي: ٩/٢٣٠ - ٢٣١

وأخرجها ابن سعد أيضا من حديث أنس بإسناد علي شرط مسلم وفيها: وكان حلو الصوت[٥٣]

قال الخطابي : قوله (آل داود) يريد داود نفسه، لأنه لم ينقل أن أحدا من أولاد داود ولا من أقاربه كان أعطي من حسن الصوت ما أعطي [٥٤] .

وداود عليه السلام - إليه المنتهي في حسن الصوت بالقراءة

وفي هذا الحديث شبه ﷺ حسن الصوت وحلاوة نغمته بصوت المزمار ، وأصل الغناء قال النووي: قال العلماء: المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن وأصله الآله أطلق اسمه علي الصوت للمشابهة [٥٥]

الدليل الرابع:

أخرج مالك[٥٦] في الموطأ وأحمد[٥٧] في مسنده والحميدى[٥٨] والبخاري[٥٩] ومسلم[٦٠] في صحيحهما وابن ماجة[٦١] وأبو داود[٦٢] والترمذي[٦٣] والنسائي[٦٤] في سننهم وابن خزيمة [٦٥] في صحيحه من حديث البراء بن عازب قال: "سمعت النبي ﷺ يقرأ في العشاء بالتين والزيتون ، فما سمعت أحد أحسن صوتا منه

قال الحافظ ابن حجر : ومراده منه هنا: بيان اختلاف الأصوات بالقراءة من جهة النغم[٦٦]

---

(٥٣) فتح الباري : ٩/١١٤
(٥٤) ومثل ذلك في الصلاة الإبراهيمية / اللهم صل علي محمد وآل محمد، كما صليت علي آل إبراهيم، فهو يريد: إبراهيم
(٥٥) فتح البارى : ٩/١١٥ ،ومسلم بشرح النووى ٣/٣٣٩ .
(٥٦) الموطأ : ٧٢
(٥٧) مسند أحمد : ٤/٢٨٤ و ٢٨٦ و ٢٩١ و ٣٠٢ و ٣٠٣
(٥٨) مسند الحميدي (٧٢٦)
(٥٩) البخاري ١/١٩٤ وخلق أفعال العباد : ١٦٠
(٦٠) مسلم : ٢/٤١
(٦١) سنن ابن ماجة (٨٣٤) و (٨٣٥)
(٦٢) سنن أبي داود (١٢٢١)
(٦٣) جامع الترمذي (٣١٠)
(٦٤) المجتبي:٢/١٧٣
(٦٥) صحيح ابن خزيمة: (٥٢٢) و (٤٥٢) و (٥٢٥) و (١٥٩٠)
(٦٦) فتح الباري: ١٣/١٣٦

الدليل الخامس:

أخرج البخاري[٦٧] في التوحيد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ليس منا من لم يتغن بالقرآن

وهذا الحديث أخرجه أبو داود[٦٨]في الصلاة من حديث أبي لبابة بسند قوي ، وأخرجه أحمد[٦٩] وأبو داود[٧٠] بإسناد صحيح من حديث سعد بن أبي وقاص

وأخرج البيهقي[٧١] بسنده إلي الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقال له رجل: ليستغني به؟ فقال: لا، ليس هذا معناه، معناه : يقرؤه حدرا[٧٢] وتحزينا .

وذكر أبو داود في روايته أن عبد الجبار بن الورد قال لابن أبي مليكه عند راويته للحديث: يا أبا محمد أرأيت إن لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع .

وقال أبو سعيد ابن الأعرابي في هذا الحديث : كانت العرب تتغنى بالركبانى إذا ركبت وإذا جلست في الأفنية وعلي أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن تكون هجيراهم بالقرآن مكان التغني بالركباني[٧٣]

الدليل السادس

عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: (لله أشد أذنا إلي الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلي قينته)) والقينة المغنية

قلت: هذا حديث صحيح أخرجه أحمد[٧٤] وابن ماجة [٧٥]من طريق الوليد بن مسلم قال حدثنا الأوزاعي قال حدثني إسماعيل بن عبد الله عن ميسرة مولي فضالة فذكره

---

(٦٧) البخاري (٧٥٢٧) من طبعة الفتح الجديدة
(٦٨) أبو داود (١٤٧١)
(٦٩) مسند أحمد (١٤٧٦) ط الشيخ أحمد شاكر
(٧٠) أبو داود (١٤٧٩) و (١٤٧٠)
(٧١) سنن البيهقي: ٢٣٠/٩
(٧٢) حدرت القراءة : أدرجتها ولم أمططها وقرأ فلان تحزينا إذا رقق صوته وصيره كصوت الحزين .
(٧٣) النهاية لابن الأثير ٣٩١/٣ والقرطبي: ١٣/١
(٧٤) مسند أحمد: ١٩/٦ و ٢٠

وقد صرح الوليد بن مسلم بالسماع من الأوزاعي فهو ثقة عند تصريحه وإسماعيل ثقة وميسرة مولي فضالة وثقه ابن حبان وذكره أبو زرعه الدمشقي في الطبقة العليا التي تلي الصحابة ولم نجد فيه جرحا وأيضا فهو متابع عليه، فقد أخرجه البيهقي[٧٦] من طريق العباس بن الوليد بن مزيد، وهو صدوق، عن أبيه وهو ثقة ثبت عن الاوزاعي به ولكن ليس فيه (عن ميسرة) فرواه عن فضالة بن عبيد مباشرة وفي سماعه منه نظر كما قال المزي في تهذيب الكمال[٧٧] علي أن المتن صحيح لما ذكرنا أولا وإن سقط اسم ميسرة من مسند أحمد فهو في الأصل، كما نص علي ذلك الحافظ ابن كثير في جامع المسانيد والسنن[٧٨].

الدليل السابع

أخرج أحمد[٧٩] في مسنده والدارمي[٨١] في سننه والبخاري في خلق أفعال العباد[٨٢] وأبو داود[٨٣] وابن ماجة[٨٤] والنسائي[٨٥] في سننهم، وابن حبان[٨٦] في صحيحه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي من حديث البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال " زينوا القرآن بأصواتكم)

وهو حديث صحيح [٨٧]ومعناه تحسين الأصوات عند القراءة فإن الكلام الحسن يزيد حسنا وزينه بالصوت الحسن وهو أمر مشاهد ولكن لما رأي بعضهم أن القرآن أعظم من أن يحسن بالصوت، بل الصوت أحق بأن

---

(٧٥) ابن ماجة (١٣٤٠)
(٧٦) سنن البيهقي: ٢٣٠/٩
(٧٧) تهذيب الكمال: ١٤٤/٣
(٧٨) جامع المسانيد السنن: ٢٠/٤
(٧٩) مسند أحمد : ٢٨٣/٤ و ٢٨٥ و ٢٩٦ و ٣٠٤
(٨١) سنن الدارمي (٣٥٠٣)
(٨٢) خلق أفعال العباد (١٥٩) و (١٦٠)
(٨٣) أبو داود (١٤٦٨)
(٨٤) ابن ماجة (١٣٤٢)
(٨٥) المجتبي : ١٧٩/٢- ١٨٠
(٨٦) صحيح ابن حبان (٦٦٠)
(٨٧) أنظر أيضا صحيح أبي داود للعلامة الألباني (١٣٢٠) وفيه الشواهد الدالة علي صحته وكذلك الصحيحة ٤١٤/٢ (٧٧١)

وقد جاء فى بعض الروايات مقتصرا علي قوله (واقتتوه) من غير قوله (وتغنوا به) فقال قباث ، ولا أعلمه إلا قال: وتغنوا [١١٤] وفي رواية أخري قال [١١٥] وحسبته قال ، تغنوا به .

الدليل التاسع

أخرج أحمد[١١٦] في مسنده والبخاري في صحيحه[١١٧] وفي خلق أفعال العباد[١١٨] وأبو داود[١١٩] وابن ماجة[١٢٠] والترمذي في الشمائل[١٢١] والنسائي[١٢٢] من حديث قتادة قال : سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ قال : كان يمد مدا وفي رواية أخري عن قتادة سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم[١٢٣]

الدليل العاشر :

أخرج البخاري ومسلم عن أسيد بن حضير قال بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرا فجالت الفرس فسكت وسكتت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحي قريبا منها فأشفق أن تصيبه فلما اجتره رفع رأسه إلي السماء حتي ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له اقرأ يا ابن حضير ،اقرأ يا ابن حضير قال : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحي وكان منها قريبا فرفعت رأسى فانصرفت إليه فرفعت رأسى إلي السماء فإذا مثل الظله فيها أمثال المصابيح فخرجت حتي لا أراها قال: وتدري ماذاك ؟

---

(١١٤) مسند أحمد : ١٥٣/٤

(١١٥) مسند أحمد : ١٥٠/١

(١١٦) مسند أحمد ١١٩/٣ و ١٢٧و ١٣١ و ١٩٢ و ٢٨٩ و ١٩٨

(١١٧) البخاري :٢٤١/٦ = (٥٠٤٥) من طبعة الفتح الجديدة)

(١١٨) خلق أفعال العباد (١٦٥)

(١١٩) أبوا داود (١٤٦٥)

(١٢٠) ابن ماجة (١٣٥٣)

(١٢١) الشمائل (٣١٥)

(١٢٢) السنن الكبرى (٩٩٦) والمجتبي : ١٧٩/٢ وانظر المسند الجامع ، حديث رقم ١١٧٨.

(١٢٣) البخاري (٥٠٤٦)

قال لا قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها ، لا تتواري منهم .[١٢٤]

قال ابن حجر : في راوية إبراهيم بن سعد تستمع لك وفي راوية ابن كعب وكان أسيد حسن الصوت ، وفي رواية يحي بن أيوب عن يزيد عن الهاد عند الإسماعيلي أيضا : أقرأ أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود وفي هذه الزيادة إشارة إلي الباعث علي استماع الملائكة لقراءته[١٢٥] قلت : الله أكبر ، تتنزل الملائكة وتدنو لسماع قراءة خاصة بصفة خاصة ولو لم يكن أسيد رضي الله عنه يتغني ويترنم ويحسن صوته ويطرب بسبب ما أوتي من مزامير داود فهل كانت الملائكة ستتشغل بقراءته ولو كان القارئ يقرأ بغير هذه الصفة هل كانت الملائكة ستستمر علي حالتها من الظهور وعدم الاختفاء الذي هو من شأنهم ، فما الذي استحث الملائكة لتخرج عما هو من شأنها.

استطراد

وقد كان السلف يحبون الصوت الحسن ويطربون لقراءته فتكون قراءته أوقع في قلوبهم وأحلي قال : أبو عثمان النهدي : ما سمعت مزمارا ولا طنبورا ولا صنجا أحسن من صوت أبي موسى الأشعري إن كان ليصلي بنا فنود أنه يقرأ البقرة من حسن صوته [١٢٦] لذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى: ذكرنا ربنا فيقرأ أبو موسى [١٢٧]

وروي أن أسيد بن الحضير رضي الله عنه أحد النقباء الإثني عشر ليلة العقبة كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن[١٢٨]

وذكر حنظلة بن أبي سفيان عن عبد الرحمان بن سابط عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: استبطأني رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال ماحبسك ؟ قلت: إن في المسجد لأحسن من سمعت صوتا بالقرآن فأخذ رداءه وخرج

---

(١٢٤) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن ، باب : نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن .

(١٢٥) الفتح ٧٧،٧٦،١٩ .

(١٢٦) سير أعلام النبلاء : ٢ / ٣٩٢

(١٢٧) طبقات ابن سعد : ١٠٩/٤ من طريق عثمان بن عمر عن يونس عن الزهري ، عن أبي سلمة ورجال ثقات وانظر السير ٣٩١/٢

(١٢٨) سير أعلام النبلاء : //٣٤١

يسمعه فإذا هو سالم مولي أبى حذيفة، فقال: الحمد الله الذي جعل في أمتي مثلك[١٢٩]

والمسلمون يستحبون البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن، قال تعالي (خروا سجدا وبكيا)[١٣٠]

وعقد البخاري في فضائل القرآن من صحيحه بابا للبكاء عند قراءة القرآن[١٣١] وقال الغزالي : يستحب البكاء مع القراءة عندها وطريق تحصيله أن يحضر قلبه الحزن والخوف يتأمل القارئ ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزنه لا محالة ويبكي[١٣٢]

وقال النووي : البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين والصالحين[١٣٣]

وقال الحافظ ابن حجر ولا شك أن النفوس تميل إلي سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لآن للتطريب تأثير في رقة القلب وأجراء الدمع[١٣٤]

ومعلوم أنه لابد للنفس من طرب واشتياق إلي الغناء فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه وكما عوضت عن الاستقسام بالأزلام بالاستخارة التي هي محض التوحيد والتوكل ، وعن السفاح بالنكاح وعن القمار بالمراهنة بالنصال وسباق الخيل وعن السماع الشيطاني بالسماع الرحمانى القرآني ونظائره كثير جدا .

قال ابن تيمية : وأما ما ذكر من السماع : فالمشروع الذي تصلح به القلوب ويكون وسيلة إلي ربها بصلة ما بينه وبينها هو سماع كتاب الله الذي هو سماع خيار هذه الأمة لا سيما وقد قال ﷺ (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) وقال (زينوا القرآن بأصواتكم)

وهو السماع الممدوح في الكتاب والسنة لكن لما نسي بعض الأمة حظا من هذا السماع الذي ذكروا به . ألقي بينهم العداوة والبغضاء .

---

(١٢٩) أخرجه أحمد ١٦٥/٦، وأبو نعيم في الحلية: ٣٧١/١، والحاكم ٢٢٦/٣ وصححه ووافقه الذهبي ورجاله ثقات وإسناده صحيح

(١٣٠) الإسراء : ١٠٨

(١٣١) فتح الباري: ٩/ ١٢١

(١٣٢) إحياء علوم الدين: ١٢١/٩

(١٣٣) فتح الباري: ٩ / ١٢١

(١٣٤) فتح الباري ٨٨/٩-٨٩

قلت : حدثنى الكثيرون أنهم أحبوا القرآن وأقبلوا عليه وحفظوه بسبب استماعهم إلى المشايخ من ذوى الأصوات الجميلة .

وقد أحب الناس للمصحف المكتوب أن يكون جميل الخط، وبذل المسلمون في هذا جهودا باهرة ضخمة ، ولا شك أن الحاجة إلي تجميل القراءة وتحسين الصوت ليس أدني من الحاجة إلي تجميل الكتابة فكلها تؤدي إلي غاية واحدة

وغني عن البيان أن نؤكد هنا - ونحن نتكلم علي جواز تحسين الصوت والتطريب والتغني بالقراءة للقرآن الكريم - أن المقصود بها التطريب من القارئ نفسه لا تلك الدعوة الآثمة التي نادي بها البعض ودعا أن تكون القراءة بالتلحين مع أنغام الموسيقي[١٣٥] فهذه الدعوي لا تستند إلي أي أساس من الدين ، ولا كادت أن تتجاوز حناجر الذين نادوا بها ولم تلق رواجا ولا نصيبا من الظهور بحمد الله لأنها أرادت الخروج بالقراءة عن قصدها والمراد منها وكذلك الدعوة إلي وضع تلحين موحد للقراءة باللحن لأن كل قارئ له طبيعة صوته وطريقته في الأداء والقرآن الكريم ليس أغنية حتي نلتزم في قراءته لحنا معينا

أما المانعون للتغنى والتطريب فاستدلوا بأحاديث لا تثبت عن المصطفي ﷺ منها

١-ما قيل إن حذيفه بن اليمان روي عن النبي ﷺ أنه قال : (إقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتاب والفسق فإنه سيجيء من بعدي أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم"

رواه أبو الحسن رزين فى تجريد الصحاح ورواه أبو عبدالله الحكيم الترمذي في نوادر الأصول واحتج به القاضي أبو يعلي في "الجامع" وأخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب (الإيمان) من حديث بقية بن الوليد عن الحصين الفزاري عن أبي محمد عن حذيفة[١٣٦]

---

(١٣٥) ظهرت هذه الدعوة في مجلة الأدب التي كان يصدرها الشيخ أمين الخولى رحمه الله (مارس ١٩٥٦) في مقال بعنوان " القرآن والفنون) لم يذكر فيه الكاتب اسمه صريحا بل رمز له وفي السابع من آب سنة ١٩٥٨ نشرت جريدة الأهرام المصرية خبرا بعنوان " خمس سور من القرآن تم تلحينها ذكرت فيه أن صالح أمين مفتش الموسيقي بوزارة التربية والتعليم بدأ تلحن القرآن الكريم ثم نشرت جريدة الأخبار المصرية في عددها الصادر يوم ١٢ تشرين أول سنة ١٩٥٩ أن الموسيقار زكريا أحمد بدأ فى ذلك

(١٣٦) القرطبي: ١٥/١، وزاد المعاد: ٤٩١/١

قلت لا يصح فبقية يدلس عن الضعفاء وقد عنعن والحصين بن مالك الفزاري ليس بمعتمد قال الذهبي في الميزان " الحصين بن مالك الفزاري، عن رجل ، عن حذيفة "أقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها" تفرد عنه بقية ليس يعتمد والخبر منكر[١٣٧] وأبو محمد مجهول ، ففيه ثلاث علل

٢-واستدلوا بحديث عابس بن عبس الغفارى في شرائط الساعة فذكر أشياء منها : ((أن يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا أفضلهم ما يقدمونه إلا ليغنيهم غناء)).

أخرجه أحمد[١٣٨] في مسنده من حديث شريك ، عن أبى اليقظان عثمان بن عمير ، عن زاذان ، عن عليم[١٣٩] ، عن عابس وسنده ضعيف لضعف أبى اليقظان[١٤٠] .

وأخرجه الطبرانى[١٤١] وابن شاهين من طريق موسى الجهنى عن زاذان قال : كنت مع رجل من أصحاب النبى ﷺ يقال له عابس أو ابن عابس وذكر الحديث من غير ذكر عليم ، ولم يضبط الصحابى .

ومدار الحديث على زاذان ، وهو متكلم في عقيدته ، كان كثير الكلام ، كما في ضعفاء العقيلى[١٤٢] والتهذيب[١٤٣] وغيرهما وأيضا : فإننى لم أجد أحدا من أهل العلم ذكر أن موسى الجهنى قد روى عن زاذان[١٤٤] ، فلا يحتج بمثل هذا الحديث المضطرب السند تجاه الأحاديث الصحيحة التي سقناها .

---

(١٣٧) الميزان : ١ / الترجمة ٢٠٨٩

(١٣٨) مسند أحمد : ٣/٤٩٤ .

(١٣٩) عليم ، هكذا ذكره مجردا البخارى في تاريخه الكبير (٧/الترجمة ٣٩٤) ، وابن حبان في كتاب الثقات : ٥/٢٨٦ ولم يذكرا عنه راويا غير زاذان ، فهو بحكم المجهول

(١٤٠) مجمع على ضعفه ن كما في تهذيب الكمال ، والميزان : ٣/ الترجمة ٥٥٥٠ .

(١٤١) المعجم الكبير : ١٨/٣٢ ط٢ .

(١٤٢) ضعفاء العقيلى، الورقة ٧٤ ، وقال ابن حبان في الثقات (١/الورقة ١٣٤) : يخطئ كثيرا .

(١٤٣) تهذيب الكمال : ٩/ الترجمة ١٩٤٥

(١٤٤) لم يذكر المزى في ترجمة زاذان أن موسى روى عنه (٩/الترجمة ١٩٤٥) ، ولا ذكر في ترجمة موسى بن عبدالله الجهنى أنه روى عن زاذان (٢٨/الترجمة ٦٢٧٦) وموسى لم يصرح بالتحديث عن زاذان ، ففى اتصال السند نظر ، والله أعلم .

٣-وقالوا : وقد منع النبى ﷺ المؤذن المطرب في أذانه من التطريب ، واستدلوا بحديث أخرجه الدراقطنى في سننه[١٤٥] من حديث ابن عباس ، قال : كان لرسول الله ﷺ مؤذن يطرب ، فقال النبى ﷺ : ((إن الأذان سهل سمح فإن كان أذانك سهلا سمحا ، وإلا فلا تؤذن)).

قلت : هذا الحديث ضعيف جدا ، ففى سنده إسحاق بن أبى يحيى الكعبى : ضعفه الدراقطنى نفسه ، وعد الذهبى حديثه هذا عن ابن جريج من أوابده ، وقال في الميزان : هالك يأتى بالمناكير عن الأثبات[١٤٦] .

٤-واستدلوا على كراهية أنس بن مالك رضى الله عنه للتطريب بالقرآن ماروى عن زياد النميرى أنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك فقيل له : إقرأ فرفع صوته وطرب ، وكان رفيع الصوت ، فكشف أنس عن وجهه ، وكان على وجهه خرقة سوداء فقال : يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون، وكان إذا رأى شيئا ينكره كشف الخرقة عن وجهه[١٤٧].

ولم نعرف لهذا الخبر راويا عن أنس غير زياد بن عبدالله النميرى ، فعليه مدار الحديث ، وهو ضعيف ، قال يحيى بن معين : ضعيف الحديث[١٤٨] ، قال أبو عبيد الآجرى : سالت أبا داود عنه فضعفه[١٤٩] .

وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به[١٥٠] ، وذكره ابن حبان في كتاب ((الثقات)) أولا : وقال[١٥١] : يخطئ ، ثم عاد فذكره في ((المجروحين)) وقال[١٥٢] : منكر الحديث يروى عن أنس أشياء لا تشبه حديث الثقات ، لا يجوز الاحتجاج به ، تركه يحيى بن معين . وقال

---

(١٤٥) السنن : ١/٢٣٩

(١٤٦) ميزان الإعتدال : ١/٢٠٥

(١٤٧) القرطبى : ١/١١

(١٤٨) الجرح والتعديل : ٣/الترجمة ٢٤١٩ عن عباس الدورى ، والمجروحين لابن حبان : ١/٣٠٦ عن أحمد بن زهير ، والكامل : ١/الورقة ٣٦١ عن عبدالله بن أحمد أبن الدورقى ، ثلاثتهم عن يحيى بن معين

(١٤٩) سؤالات الآجرى : ٤/الورقة ١٠

(١٥٠) الجرح والتعديل : ٣/الترجمة ٢٤١٩

(١٥١) ١/الورقة ١٤٢ بترتيب الهيثمى

(١٥٢) المجروحين : ١/٣٠٦

الدارقطني في السنن[١٥٣] : ليس بالقوى . وضعفه الحافظان : الذهبى[١٥٤] وابن حجر[١٥٥] وكفاك بهما .

القول الفصل :

بعد كل هذا الذي قدمنا نرى من المفيد أن نقتبس خلاصة رأى واحد من أعظم المحدثين والفقهاء ممن تشبعوا بالهدى النبوى وعرفوه حق معرفته ، وهو حافظ عصره ابن حجر العسقلانى ، وهو خلاصة هذا البحث وهو الذي نعتقده ونؤمن به لما تحصل عندنا من الأدلة .

قال الحافظ ابن حجر : ((والذى يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فمن لم يكن حسنا فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبى مليكة أحد رواة الحديث ، وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح .

ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم ، فإن الحسن الصوت يزداد حسنا بذلك ، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه ، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها مالم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءآت ، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء ، ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعى الأداء ، فإن وجد من يراعيهما معا فلا شك في أنه أرجح من غيره ، لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء[١٥٦] .

ولإتمام الفائدة نورد لك كلام الشيخ أبى زهرة وتعليقنا عليه[١٥٧] .

تلونا من قبل قوله تعالى : (لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه ، فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه)[١٥٨] .

هذا النص الكريم يدل على أن تلاوة القرآن بتوجيه من الله ، لأنه سبحانه وتعالى يقول : ((فإذا قرأناه ، فاتبع قرآنه)) اى إذا تلونا عليك القرآن ، واستحفظته ، فاتبع القراءة التي علمك الله تعالى ، وهو ما يدل عليه قوله تعالى: ((فاتبع قرآنه) أى اتبع طريقة القرآن التي قرأناه ، ولا

(١٥٣) سنن الدارقطنى : ١٩٠/٢
(١٥٤) المغنى في الضعفاء : ١/الترجمة ٢٢٣٢
(١٥٥) تقريب التهذيب : (٢٠٨٧) وانظر تهذيب الكمال للمزى : ٩/الترجمة ٢٠٥٥
(١٥٦) فتح البارى : ٨٩/٩
(١٥٧) المعجزة الكبرى القرآن ص ٦٢٠-٦٣٢
(١٥٨) القيامة : ١٦-١٩

تبتعد عنها ، فإن القرآن يراد به القراءة أحيانا كما قال تعالى : ((وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا))[١٥٩] .

والقرآن في أصله كتاب كريم مبين ، وعبر عنه سبحانه وتعالى بقرآن إيماء إلى انه كتاب نزل بنصه وبطريقة قراءته. وبذلك لا يستحفظ باقيا في الأجيال بمجرد الكتابة بل بالقراءة وحفظه في الصدور متلوا بما علم الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ ، فالنبى عليه الصلاة والسلام في تلاوته إنما يتلو بتعليم من الله تعالى في مده وغنه ، وتشديده ، وتسهيله ، فإنه إذ نزل على النبى ﷺ نزل متلوا .

وعلى ذلك تكون القراءة الكاملة للقرآن الكريم هي القراءة التي التزمها النبى ﷺ بأمر ربه وتعليمه ، ولذلك يقول العلماء إن القراءة سنة متبعة ، لا يصح لمؤمن أن يحيد عن طريقة النبى ﷺ ، وقد علم النبى أصحابه هذه القراءة كما علمه ربه ، وعلم الصحابة تلاميذهم من التابعين تلاوة النبى ﷺ ، وتواترت قراءة النبى الكريم ، كما تواتر القرآن الكريم فكان محفوظا بطريق تلاوته ، كما كان محفوظا بذاته ، بل إن الفصل بين طريقة التلاوة ، وذات القرآن الكريم فصل بين متلازمين ، وإن السلف الصالح ، والخلف من بعدهم ما كانوا يعتمدون على المكتوب في استحفاظ القرآن الكريم ، إنما يقرأ طالب القرآن على مقرئ يقرئه ، ولا يعتمد على مكتوب كتب ، لأن المكتوب قد يجرى فيه التصحيف والتبديل أما ما حفظ في الصدور فإنه لا يعروه تغيير ولا تبديل ، ولا تحريف .

ولقد أمر الله تعالى نبيه بأن يرتل القرآن ترتيلا فال تعالى : ((ورتل القرآن ترتيلا))[١٦٠] ولقد نسب الله سبحانه وتعالى الترتيل إلى ذاته المقدسة فقال تعالى : (ورتلناه ترتيلا)) .

ولقد وضع العلماء المقاييس والضوابط التي تميز الترتيل المطلوب في تلاوة القرآن الكريم ، ولم يتركوا الأمر فرطا بل وضعوا ميزانا يميز الترتيل المطلوب عن القراءات البعيد عند الترتيل ، وهو علم التجويد ، وعلم القراءات ، ففى هذين العلمين يتميز المنهاج المطلوب في الترتيل عن غيره مما يبتدعه الناس .

ولقد كان التابعون تلاميذ الصحابة يتبعون في قراءة القرآن الترتيل الذي تعلموه من الصحابة كما أشرنا ، وهو الترتيل الذي قرأ به

(١٥٩) الإسراء ك ٧٨
(١٦٠) المزمل : ٤

الصحابة على النبى ﷺ ، وهو الترتيل الذي علمه الله تعالى لنبيه ، فكان السند متصلا اتصالا وثيقا وتواترت القراءة ، تواتر القرآن كما نوهنا .

ولكن حدث في العصر الأموى ، وهو عصر التابعين ، ومن امتد به الأجل من الصحابى رضى الله تعالى عنهم أن دخل الغناء الفارسى ، وتشايع ذلك الغناء بألحانه .

ويظهر أن هذا الغناء تسامى بألحانه إلى القرآن الكريم ، فالتوت بعض الألسنة عن الترتيل المتبع في عصر النبى ﷺ ، ومن كان حيا من المعمرين من الصحابة استنكر ذلك ، يروى في هذا عن زياد النميرى انه جاء مع بعض القراء إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فقيل له إقرأ ، فرفع صوته وطرب ، وكان رفيع الصوت ، فكشف أنس عن وجهه ، وكان على وجهه خرقة سوداء ، فقال يا هذا ما هكذا كانوا يقرءون ، وكان إذا رأى شيئا ينكره كشف الخرقة عن وجهه[١٦١] .

وإن هذا الخبر عن ذلك الصحابى الجليل يدل على أمرين[١٦٢] :

أولهما أن التطريب بالقرآن برفع الصوت وخفضه مسايرة لنغم أو نحو ذلك ما كان في الترتيل الذي تلقاه الصحابة عن الرسول .

والثانى أنه يدل على ذلك التطريب بقراءة القرآن قد حدث في العصر الأموى بعد أن دخل الغناء الفارسى ، فهو بدعة ابتدعت ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار، وذلك فوق أن القرآن لابد أن يرتل ترتيلا ، وذلك ليس ترتيل القرآن ، والقراءة كما قلنا سنة متبعة .

وإن التلاوة الحق كما حد العلماء حدودها ، قرروا مقياسها في علم يدرس قد ذكر القرآن خواصها ، وهى في آثارها في نفس القارئ ، وفى نفس من يسمعها ، وفيما تدل عليه من منزلة القرآن ، ومكانته في هذا الوجود .

فالله تعالى يقول في مكانته : ((ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعا))[١٦٣] أى أن

---

(١٦١) قلت : هذا خبر ضعيف لا يجوز الاحتجاج به به كما بينا في بحثنا ، ونقلنا هناك أن زياد بن عبدالله النميرى لا يجوز الاحتجاج به ضعفه يحيى بن معين ، أبو داود ، وأبو حاتم وغيرهم

(١٦٢) قلت : بل لا يدل على شئ لعدم جواز الاحتجاج به كما ذكر جهابذة الجرح والتعديل ، وجميع ما أورده بعد ذلك من استنتاجات إنما هي استنتاجات فاسدة لضعف الدليل

(١٦٣) الرعد : ٣١

هذا القرآن له قوة في النفوس وفى الوجود ، بحيث أنه يمكن أن تسير به الجبال ، أو تكلم به الموتى أو تقطع به الأرض ، فله في النفس كمال الرهبة ، وله كمال التأثير ، وله في الآذان جمال التعبير ، فلو كانت الجبال تسير أو الأرض تقطع ، أو الموتى يسمعون القرآن فإنه يكون لقراءة القرآن ، فهل يتأتى هذا التأثير مع تلوى الألسنة والأصوات بنغماته يترنح بها القارئ ذات اليمين وذات الشمال، والآهات تتعالى ، ويكون المكاء والتصدية .

والقرآن وصفه الله تعالى بأنه ذو الذكر ، وأقسم به تعالى ، فقال سبحانه، ((والقرآن ذي الذكر)) أى القرآن الذي يصحبه ذكر الله تعالى ، وهو الذي تطمئن به قلوب المؤمنين ، كما قال تعالى : ((ألا بذكر الله تطمئن القلوب)) وسمى القرآن ذكرا فقال جل وعلا : ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) ، فهل تلوية الأصوات والنبرات بغير الترتيل المنزل من عند الله تعالى يكون ذكرا لله تعالى ، والاتعاظ بقرآنه أم هي النغمات بين التطرية ، والتعلية ، التي تهتز لها النفوس طربا ، وتعلو بها الأصوات إعجابا بالمعنى وعجبا[١٦٤] .

والقرآن قد وصف الله تعالى المؤمنين عند تلاوته ، فال تعالى : ((إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا))[١٦٥] فهل تكون التلاوة للمؤمنين الذين سمعوا القرآن تكون بهذه الأصوات التي تحدث الضجات المتوالية .

ويصف الله تعالى القرآن الكريم فيقول : ((إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويبشر المؤمنين))[١٦٦] .

ويبين سبحانه قوة تأثير القرآن في قلوب المتعظين ، وفى قلوب من يتفهمونه ((لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله))[١٦٧] فهل يرى أى مدرك للمعانى القرآنية أن ذلك يتفق مع التغنى والتطريب الذي يصنعه قراء العصر . إن القارئ يكون مشغولا بالطرب عن معنى القرآن وهدايته وعظاته فلا يتدبره ، ولا يدرك معناه ، ويكون على القلوب أقفال بما يحدثه التغنى ، التطريب ، والاجتهاد في

---

(١٦٤) قلت : قد ثبت من حديث المصطفى ﷺ الترجيع ، وفى الترجيع زيادة على الترتيل

(١٦٥) مريم : ٥٨

(١٦٦) الإسراء : ٩

(١٦٧) الحشر : ٢١

إثارة النفوس لا لتتعظ ولكن لتصنع ستارا بينها وبين ما في القرآن . والله تعالى يصف القرآن الكريم بقول تعالى: ((الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ، ومن يضلل الله فما له من هاد))[١٦٨] .

وإن هذه الآيات التي تلوناها قبسة من نور القرآن الكريم ، وهي تدل على أنه ليس شعرا يتغنى به ، ويتنزل على لحون الأعاجم قديمها وحديثها ، ولكنه كتاب هداية للعظة ، والاعتبار ، وتوجيه النفوس ، وكل تطريب بالألحان قديمة وجديدة هو إلهاء عن ذكر الله تعالى ، وإبعاد عن مراميه ومغازيه ، فتكون النفس مشغولة بالنغم الملهى عن معنى القرآن ومرماه .

وإننا لا نبعد بهذا الكلام عن حقيقة مقررة ثابتة ، وهي اتباع السلف في التلاوة ، وهي تنتهي في أصلها إلى منزل القرآن الكريم الذي جعله حجة وبرهانا ومعجزة ، وقال فيه : ((قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا))[١٦٩] كما تلونا من قبل .

فكل مخالفة لمنهاج السلف الصالح في التلاوة ، مخالفة لما أمر الله تعالى به في قوله تعالى : ((ورتل القرآن ترتيلا)) ولكن وردت آثار عن الرسول ﷺ يوهم ظاهرها جواز التغنى بالقرآن ، والتطريب به والترجيع فيه وكان لنا وقد تلونا ما تلونا أن نحكم بعدم صحة نسبتها إلى الرسول[١٧٠] ، ولكن ذلك يهون إذا كانت تدل قريبا أو بعيدا على جواز الغناء الذي تراه الآن من بعض القراء ، وعلى ما يريده الذين لم يعرفوا بأنهم أرادوا للإسلام وقارا ، بل يريدونه بورا ، أو كما يبدو في كتاباتهم ، والله أعلم بضمائرهم .

---

(١٦٨) الزمر : ٢٣

(١٦٩) الإسراء : ٨٨

(١٧٠) قلت : في هذا نظر شديد ، والشيخ رحمه الله ما كان ليستطيع أن يرد هذه الأحاديث وجملة منها مما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم ، نعوذ بك اللهم من المجازفة ، وسيأتى في تعليقنا مزيد بيان لذلك إن شاء الله تعالى.

ولكنا إذا تفهمنا هذه الآثار عن النبى ﷺ وعن صحابته ، وما ترمى إليه، إن صحت النسبة[١٧١] ، وجدنا أننا لسنا في حاجة إلى رد صحيح السند منها ، لأن متنه لا يخالف الترتيل الذي جاء به رب القرآن ورب محمد ، ورب العالمين.

١. لقد روى أن النبى ﷺ قال فيما رواه عنه البراء بن عازب ((زينوا القرآن بأصواتكم))[١٧٢] .

٢. وأخرج مسلم ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن))[١٧٣] .

٣. ولقد كان ﷺ يسره أن يسمع القرآن من أبى موسى الأشعرى ، حتى روى أنه قال في سرور بقراءته : ((لقد أعطيت مزمارا من مزامير داود))[١٧٤] وأنه سمعه النبى ﷺ ، فاستطاب ما يسمعه من صوته وأبو موسى لم يشعر ، فلما شعر قال : ((لو أعلم أنك تستمع لقراءتى لحبرت لك تحبيرا))[١٧٥] .

٤. وروى عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : ((تعلموا القرآن ، وغنوا به ، فوالله إنه لأشد تفصيا من المخاض من العقل))[١٧٦] .

---

(١٧١) قلت : هذا إصرار وإيمان من الشيخ بجواز عدم صحة نسبة هذه الأحاديث إلى الرسول ﷺ ، وفيه مأخذ شديد عليه كما سيأتى .

(١٧٢) قلت : هذا حديث صحيح اخرجه أحمد ، الدارمى ، والبخارى في خلق أفعال العباد ، وأبو داود ، وابن ماجة ، والنسائى ، وابن حبان في صحيحه ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى ، وصححه العلامة الشيخ ناصر الدين الألبانى ، كما بينا في الدليل السابع من البحث .

(١٧٣) قلت : قوله رحمه الله : ((وأخرج مسلم)) كأنه يشير إلى انفراد مسلم بروايته ، وليس هذا بصحيح ، فقد أخرجه البخارى في التوحيد من صحيحه أيضا (٧٥٢٧) فضلا عن أن الإمام أحمد ، وأبا داود قد أخرجاه من طرق أخرى ، كما بينا في الدليل الخامس من البحث .

(١٧٤) قلت : حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، كما هو مبين في الدليل الثالث من بحثنا .

(١٧٥) قلت : قوله : ((لو أعلم أنك تستمع لقراءتى لحبرت لك تحبيرا)) زيادة صحيحة اخرجها البيهقى بإسناد مسلم نفسه من حديث أبى موسى ، وأخرجها ابن سعد أيضا من حديث أنس بإسناد على شرط مسلم ، وفيها زيادة : ((وكان حلو الصوت)) كما بينا في الدليل الثالث من بحثنا

(١٧٦) قلت : هذا حديث صحيح رجاله مسلم ، أخرجه ابن ابى شيبة في مصنفه ، وأحمد في مسنده ، والدارمى في سننه ، والنسائى في فضائل القرآن من طريق من طريق موسى بن على ، وفباث بن رزين عن على بن رباح اللخمى

٥. قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسيرته سورة الفتح على راحلته فرجع[١٧٧] . والترجيع في القراءة ترديد الحروف .

هذه الأخبار واردة عن النبى ﷺ ، وهى في ظاهرها تدل على جواز التغنى بالقرآن والترجيع فيه والتطريب به ، وقد طار بهذه الآثار أولئك الذين يروجون قراءة القرآن بألحان الأعاجم ، وكان لنا أن نردها لمخالفتها المتواتر عن الرسول ﷺ[١٧٨] .

فلننظر إليها فهل تؤدى في مدلولها إلى جواز اتخاذ القرآن سبيلا للتطريب في عصرنا ، لتحدث القراءة طربا ولا تحدث عظة واعتبارا ، وخشية من الله ، وإحساسا من المؤمن بأن الله تعالى يخاطبه بهذا القرآن .

ولننظر فيها خبرا خبرا نتعرف ما يدل عليه في ظاهره حقيقته .

المصرى الثقة عن عقبة بن عامر ﷺ ، كما فصلنا القول فيه في الدليل الثامن من بحثنا.

(١٧٧) قلت : هذا حديث صحيح متفق عليه من حديث عبدالله بن مغفل ﷺ ، أخرجه البخارى ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده ، وأبو داود في سننه ، وغيرهم ، كما بيناه في الدليل الثامن من بحثنا

(١٧٨) قلت : هذا ذهول شديد من الشيخ رحمه الله ، وعليه مآخذ من عدة وجوده .
الوجه الأول : أنه رحمه الله لم يستوعب أحاديث الباب فقد فاته حديث مهم اتفق عليه البخارى ومسلم من حديث أبر هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((لم يأذن الله لشئ ما أذن لنبى أن يتغنى بالقرآن يجهر به)) . وقد أشبعنا الكلام عليه في الدليل الأول ، فراجعه تجد فائدة إن شاء الله .

وفاته أيضا حديث فضالة بن عبيد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن ، يجهر به ن من صاحب القينة إلى قينته)) والقينة : المغنية . وهو حديث صحيح أخرجه أحمد وابن ماجة كما بيناه في الدليل السادس من بحثنا.

الوجه الثانى : قوله رحمه الله : ((وكان لنا أن نردها)) فهل كان الشيخ يستطيع أن يرد أحاديث اتفق عليها البخارى ومسلم ؟ ((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمه إنك أنت الوهاب))!

الوجه الثالث : قوله رحمه الله : ((لمخالفتها المتواتر عن الرسول ﷺ ، وفيه نظر شديد لأنه لم يثبت حديث واحد صحيح عن المصطفى ﷺ يخالف هذه الأحاديث ، فضلا عن المتواتر ، فأين هذا المتواتر أهو ما سيرويه ويستدل به من الأحاديث الضعيفة؟ نسألك اللهم العافية

أما الخبر الأول : وهو ما نسب إلى النبى ﷺ[١٧٩] من أنه قال : ((زينوا القرآن بأصواتكم)) ، فإنه لا يفسر بظاهره ، لأن القرآن زين بذاته ، ولكن المتأمل يرى أن القراءة المرتلة التي يلاحظ فيها المأثور من القراءات ، وملاحظة المعانى فيها ، فيرفع الصوت فيها نسبيا في آيات التهديد والإنذار ، ويخفضه نسبيا في آيات التبشير ، ويقرأ قراءة المتأمل في الآيات الكريمة الداعية إلى التفكير ، فإن هذا بلا شك موافق للترتيل الذي أخذناه عن النبى ﷺ، ومصور للمعانى القرآنية من غير أن تكون القراءة صياحا نمطيا ، ومن غير أن تكون تلحينا أعجميا ، ولينا في الإلقاء لا يسوغ .

وإنا نحسب أن تزيين القراءة لا يكون إلا بالترتيل ، فالتزيين في كل شئ بما يناسبه، وذلك واقع في المعنويات كما هو واقع في الحسيات ، والأشياء والأشخاص ، ولا شك أن القراءة تكون بما يناسب معانى القرآن ، وموضوع العظة والاعتبار والتأمل فيه ، ولا يمكن أن يفسر التزيين بالتلوى في الحروف والكلم ، فإن ذلك شين ، وليس بزين .

ولنرجع إلى تفسير البراء الذي روى هذا الخبر ، فقد قال في تفسيره له زينوا القرآن بأصواتكم ، أى الهجوا به ، واشغلوا به أصواتكم ، واتخذوه شعارا وزينة ، وقيل إن معناه الحض على قراءة القرآن .

وإن هذين التفسيرين ، وإن كانا غير ما فسرنا به الخبر ، يتلاقيان مع تفسيرنا ، ولا ينافرانه ، وهما يتفقان مع غيره من الأحاديث في هذا الباب .

ولننظر فيما أخرجه مسلم[١٨٠] من قول النبى ﷺ إذ قال : ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) فقد فسره بعض العلماء بان التغنى هنا تحسين الصوت بقراءة القرآن ، بأن يعود لسانه النطق السليم من قراءة القرآن بإخراج الحروف من مخارجها ، واتباع الترتيل المحكم عن النبى عليه الصلاة والسلام في المد والغن والإدغام ، والفصل والوصل ، والوقوف في موضع الوقف ، ووصل القراءة في مواضع الوصل ملاحظا المعانى ، ومدركا ما يقرأ ، وهذا يتلاقى مع ماروى عن ابن عمر أنه قال : حسنوا

---

(١٧٩) قلت : لا يقال في الحديث الصحيح مثل هذه العبارة التي تدل على الشك في صحة الحديث ، ولكن يبدو أن الشيخ رحمه الله قد تأصل في نفسه أن يرد هذه الأحاديث الصحيحة .

(١٨٠) قلت : بل أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة ﷺ .

أصواتكم بالقرآن ، وماروى عن النبى ﷺ أنه قال : ((زينوا أصواتكم القرآن)) .

ولا شك أن الوهم الذي دخل على الذين يقرؤون القرآن بألحان الأعاجم ، والذى استنكره أنس بن مالك[١٨١] خادم رسول الله ﷺ ، هذا الحديث هو العماد الذي يقوم عليه عمل هؤلاء[١٨٢] ، ونحن لا نرى فيه ما يؤيد كلامهم .

إن التغنى مصدر غنى يغنى تغنية ، وهو فيما أعتقد غير الغناء[١٨٣] ؟ لأن الغناء القصد إلى إسماع غيره ليطرب ، ويتطرب لا ليتعظ ويعتبر ، أما التغنى فهو استمتاع المتكلم مما يتكلم به مترنما بالنطق ، مستحبا له مستملحا ، مستطيبا للكلمات ذواقا لها ولمعانيها ، ولننزل من مرتبة القرآن السامية إلى منحدر الشعر ، فإن إنشاد الشعر من الشاعر استمتاع بالألفاظ ، ورنة الموسيقى في الشعر ، يهتز بها مترنما ، يفعل ذلك ولو لم يسمعه أحد ، ولو لم يقصد إلى سماع أحد ، وكذلك المؤمن القارئ للقرآن يتذوق ألفاظه ، ويدرك الصور البيانية التي تصدر عن أساليبه ، ويخشع لما يشتمل عليه من عظات وعبر ، ويحس بأن الله تعالى يخاطبه ، وتعتريه روحانية من الألفاظ ونغمها وجلال معانيها .

هذا هو التغنى الذي نفهم أنه خاصة من خواص المؤمنين ، ويفعله الصديقون ، وليس منه ما نسمعه الآن من القراء الذين يطربون ، ويرجعون الحروف ، ويلوون بها الألسنة[١٨٤] ، فإن هذا غناء وليس مجرد تغنى ، وإن هذا النظر يتلاقى مع بعض الروايات ، فقد روى أبو

---

(١٨١) قلت : لو صح عنه ، ولا يصح كما بينا ، لجاز أن يقال (استنكره) على وجه اليقين كما يذكر الشيخ رحمه الله .

(١٨٢) قلت : بل استدلوا بأحاديث صحيحة أخرى اتفق أهل العلم على صحتها ، لكنه لما رأى اسم (مسلم) رحمه الله وقر في ذهنه أن الأحاديث الأخرى التي أوردها لم يروها البخارى ومسلم ولا هي صحيحة، فقال ما قال .

(١٨٣) قلت : قد رد العلماء الفاهمون العارفون بمعانى سنة المصطفى ﷺ مثل هذا القول منذ القديم كما أوضحناه في تعقيباتنا على معنى الدليل الأول من بحثنا فراجعه .

(١٨٤) قلت : إن ما يفعله بعض الناس من اساءة إلى أصول القراءة لا ينبغى أن يتخذ وسيلة لتحريم شئ أباحته السنة المشرفة ، فإن جميع العلماء قديمهم وحديثهم لم يجوزوا فعل هؤلاء الذي يخرجون بالقراءة عن أصولها .

سعيد الخدرى[١٨٥] في قوله ﷺ ، ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن ، قال : كانت العرب تولع بالغناء والنشيد في أكثر أقوالها ، فلما نزل القرآن أحبوا أن يكون القرآن هجيراهم مكان الغناء فقال ﷺ : ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) ، أى يشجع نفسه بحسن ترتيله وتلاوته ليكون هو الذي يستمتع به من كلامهم .

وقد روى سفيان بن عيينة عن سعد بن أبى وقاص إن تغنى هنا بمعنى استغنى ، وإن بعض المعاجم يفسر التغنى بمعنى الاستغناء فقد جاء في الصحاح تغنى الرجل بمعنى استغنى ، فمعنى النص الشريف ، ليس منا من لم يستغن بالقرآن عن أساطير الأولين ، وأقاصيص القصاصين .

وقد أنكر الشافعى تفسير التغنى في الحديث بالاستغناء ، وتابعه في ذلك ابن جرير الطبرى ، وقال الطبرى : إن التغنى هو حسن الصوت بالترجيع[١٨٦] ، وهذا التفسير يتلاقى مع قولنا الذي أسلفناه ، وهو التمتع بحلاوة الألفاظ القرآنية ورنين أساليبها بترجيع بعض الجمل والكلمات من غير قصد إلى التطريب ، وإيقاظ المشاعر بغير نغم القرآن ، بل بنغم الألحان الذي يمنع ذكر الله تعالى ، والخشوع الذي وصف الله القرآن به إذ قال سبحانه : ((مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم))[١٨٧] .

ومهما تكن الأقوال في معنى التغنى . فمن المتفق عليه بين الموسعين ، والمتمسكين كابن المسيب ومالك وابن حنبل ، وغيرهما ، أن

---

(١٨٥) قلت : هكذا نسب هذا القول لأبى سعيد الخدرى ﷺ وهو برئ منه ن ولا نعلمه مذكورا في أى مصدر من المصادر ، بل هو قول أبى سعيد ابن الأعرابى ، وهو الإمام الحافظ أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر المعروف بابن الأعرابى المتوفى سنة ٣٤٠هـ أحد الرواة الأربعة لسنن أبى داود وهذا النص صرح بنسبته إليه ابن الأثير في النهاية ٣٩١/٣ ، والقرطبى في تفسيره ١٣/١ ، وانظر سير أعلام النبلاء : ٤٠٧/١٥

(١٨٦) قلت : هكذا نقل عن الطبرى ، ولم يقتصر الطبرى على ذلك ، بل قال كما نقل الثقات عنه : ((تحسين الصوت ، والغناء المعقول الذي هو تحزين القارئ سامع قراءته ، كما أن الغناء بالشعر هو الغناء المعقول الذي يطرب سامعه)) وقال في موضع آخر : ((والمعروف في كلام العرب إن التغنى إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع)) . أنظر : زاد المعاد لابن القيم ٤٨٦/١-٤٨٧ ، وغيره ، فتدبر ما نقل وما نقلناه

(١٨٧) الزمر : ٢٣

القراءة بالألحان والتطريب والغناء لا تجوز[١٨٨] لأنه يخل بمقام القرآن ويوجه الناس إلى الطرب والألحان بدل الاستفادة بمواعظ القرآن ، وهدايته ، وتعرف أحكامه ، وما فيه من أدلة التوحيد ، وأحوال الأقوام مع الرسل السابقين .

وإنه يجب فهم التغنى على ضوء قوله ﷺ ، وعلى ضوء ما عرفناه من قراءة النبى ﷺ وترتيله الذي علمه الله تعالى إياه ، وعما أثر عن السلف الصالح .

ولقد قال النبى ﷺ : ((أحسن الناس صوتا من إذا قرا رأيته يخشى الله تعالى)) ، فهل هذا يتفق مع التلوى بالألفاظ ، وعدم مراعاة المعانى ، وإنما تراعى الألحان ، والناس في طرب بسماعها ينصتون إليها ويطربون ، ولا تنالهم الخشية من خطاب الديان لهم بالقرآن الكريم ، كلام الله تعالى بيانه .

ولننتقل بعد ذلك إلى حديث أبى موسى الأشعرى وثناء النبى ﷺ ، وقد روى بعبارات مختلفة منها هذه العبارة التي قالها بعد أن عبر النبى ﷺ باستحسانه بقراءته ، فقد قال رضى الله تعالى عنه للنبى عليه الصلاة والسلام ((لو أعلم أنك تستمع لقراءتى لحبرته لك تحبيرا ، والتحبير التزيين وهو كما قلنا في كل شئ بما يناسبه ، فالذي يناسب القرآن الكريم الترتيل المصور للمعانى القرآنية المربى للخشوع ، والعظة والاعتبار ، والذي يجعل المعانى القرآنية تنساب في النفوس .

وقد رويت عبارة أبى موسى الأشعرى بنص آخر يوضح الرواية الأولى ، ولا يخالفه، أنه قال لرسول الله ﷺ : ((إنى لو علمت أنك تستمع لقراءتى لحسنت صوتى بالقرآن ، وزينته ورتلته))[١٨٩] .

فهذه الرواية تدل على أن التحبير والتحسين كان في الصوت ، لا في القرآن الكريم[١٩٠] ، وأن ذلك التحسين كان في دائرة الترتيل[١٩١] ولا

---

(١٨٨) قلت : قد أجازها أبو حنيفة وأصحابه ، والشافعى ، وعبدالله بن المبارك ، والنضر بن شميل ، وأبو جعفر الطبرى ، وأبو الحسن بن بطال ، وأبو بكر بن العربى ، وابن قيم الجوزية ، وابن حجر العسقلانى ، وغيرهم ، كما بينا في أول بحثنا أو ليس هؤلاء من المتوسعين ؟ أم هو الالتزام بالجانب الذي يؤيد رأيه ويعضده فيترك آراء أئمة لا يقلون منزلة عمن ذكرهم ؟

(١٨٩) قلت : قوله : (ورتلته) لا نعلمها تصح في هذا الحديث .

(١٩٠) قلت : لا يختلف اثنان أن التحسين إنما يكون بالصوت ، والشيخ لم يأت في هذا بجديد ، إذ يمكن أن يقال : أن من جملة تحسين الصوت القراءة بالألحان .

شك أن حسن الصوت ، إذا اقترن بالترتيل ، ولم يتخالفا ، ولم ينحرف القارئ إلى ألحان الأعاجم[١٩٢] ، وإلى الغناء وتطريب السامعين ليتمايلوا يمينا وشمالا ، ويقرنون ذلك بآهات مهوشة ، تشبه المكاء والتصدية كما كان أهل الجاهلية .

ولننتقل من بعد ذلك إلى ماروى عن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ قال : ((تعلموا القرآن وغنوا به ، واكتبوه)) .

وقد قالوا إنه صحيح السند[١٩٣] ، وإن التغنى المذكور في الحديث السابق هو مصدر غنى ، وقد فسرنا التغنية في الحديث بأنها ليست الغناء الذي يقصد به القارئ أن يعتبر القرآن أغنية يطرب بها السامعين ، إنما التغنى عمل نفسى للقارئ التالى للقرآن ، يشبع الكلمات ، ويستمتع بها ، وينغمها ، ويراجع في كلماته متذوقا لها ، مدركا لكل معانيها ، متفهما ، محبا للقرآن ، غير متململ، ولا متكلف ، وقد شرحنا ذلك من قبل .

وكتابة القرآن الكريم أمر مطلوب ، وقد كان النبى ﷺ ، يملى على الكتاب ما حفظ من ربه ، وما أن انتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا كان القرآن الكريم كله مكتوبا مسطورا ، ومحفوظا ومرتلا متلوا ، تلاوة نبوية .

وإن الأمر بالكتابة لا يدل على الاستغناء بها ، فإن حفظ الحروف والكلمات لا يروى الترتيل الذي نزل على النبى ﷺ ، ولذلك كان لابد من الإقراء على مقرئ ليحفظ المتواتر عن النبى ﷺ الذي علمه ربه الترتيل ، كما تواتر القرآن المحفوظ ، وكما قال تعالى : ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))[١٩٥] .

من هذا كله يتبين أن القراءة الصحيحة تكون بترتيل القرآن الكريم ، كما علمه الله تعالى لنبيه في قوله تعالت كلماته ((فإذا قرأناه ، فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه))[١٩٦] .

---

(١٩١) قلت : هذا رأى الشيخ ، وقد ذكرنا أن تحسين الصوت والتطريب قد يكون فيه زيادة على الترتيل ، وليس في الأحاديث أى دليل على أن التحسين مقتصر على الترتيل .

(١٩٢) قلت : يردد الشيخ رحمه الله دائما ((ألحان الأعاجم)) ، وقد أخذها من الخبر الضعيف الذي رواه زياد النميرى المجمع على ضعفه عن أنس بن مالك .

(١٩٣) قلت : بل هو حديث صحيح كما بينا .

(١٩٥) الحجر : ٩ .

(١٩٦) القيامة : ١٨-١٩ .

وإن الاعتبار في القراءة التي يكون فيها التزيين يثبت بان يمتلئ قلب القارئ بالخشوع ، ويلقى به فى نفوس السامعين ، فهذا هو القياس المستقيم ، ولقد قال النبى ﷺ ، كما روينا من قبل : ((أحسن الناس صوتا من إذا قرأ رأيته يخشى الله تعالى)) .

وإن قراءة القرآن لا تجوز إلا بإخراج الحروف من مخارجها ، والمد في موضعه ، والغن في موضعه ، والوصل حيث يقتضيه المعنى ، والوقف حيث يوجبه المعنى ، فذلك هو الترتيل .

ولقد روى حذيفة بن اليمان أن النبى ﷺ قال : ((إقرأوا القرآن بلحون العرب، وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ، ولحون أهل الكتاب، وسيجئ بعدى قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح ، لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم ؛ وقلوب الذين يعجبهم شأنهم)) . رواه الترمذى في نوادر الأصول من حديث حذيفة[١٩٧] .

ولقد سمع النبى ﷺ مؤذنا يطرب ، ويردد في الحروف ، فقال له رسول الله ﷺ : ((إن الأذان سهل سمح ، فإذا كان أذانك سمحا سهلا ، وإلا فلا تؤذن)) رواه الدارقطنى في سننه[١٩٨] .

وإذا كان النبى قد منع الغناء في الأذان[١٩٩] ، فأولى ثم أولى أن يمنعه في القرآن ، فهو كتاب الله تعالى وخطابه ، وهو الذي رتله ، كما صرح بذلك ، إذ قال فيما تلونا من قبل: ((ورتلناه ترتيلا))[٢٠٠] .

---

(١٩٧) قلت : لا يصح إذ رواه بقية بن الوليد ، عن الحصين الفزارى ، عن أبى محمد ، عن حذيفة ، وفيه ثلاث علل : الأولى : أن بقية بن الوليد يدلس عن الضعفاء ، وقد عنعن . والعلة الثانية : إن أبا محمد المذكور في السند مجهول . والعلة الثالثة : إن الحصين بن مالك الفزارى ليس بمعتمد ، وقد حكم الإمام الذهبى بنكارة هذا الخبر كما بينا في البحث

(١٩٨) قلت : هذا الحديث ضعيف جدا لا يجوز الاحتجاج به على أى حال ، وهو من المروى عن ابن عباس، وفى سنده إسحاق بن أبى يحيى الكعبى ، ضعفه الدارقطنى نفسه وعد الإمام الذهبى حديثه هذا عن ابن جريج من أوابده ، وقال في الميزان : هالك يأتى بالمناكير عن الأثبات ، كما بينا في دراستنا (للأحاديث) التي استدل بها المانعون ، والظاهر أن هذه هي الأحاديث المتواتوة التي عناها الشيخ وأراد أن يرد بها أحاديث البخارى ومسلم .

(١٩٩) قلت : قد بطل الاحتجاج بهذا الحديث كما ظهر لك .

(٢٠٠) الفرقان : ٣٢

قلت : كيف يمنع رسول الله ﷺ الغناء في الأذان وهو الذي قال لعبد الله بن زيد صاحب رؤيا الأذان [٢٠١] : إنها لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فإنه أندى صوتا منك .

قال الشوكانى [٢٠٢] : أى أحسن صوتا منك وفيه دليل على استحباب اتخاذ مؤذن حسن الصوت ، وقد أخرج الدارمى وأبو الشيخ بإسناد متصل بأبى محذورة " أن رسول الله ﷺ أمر بنحو عشرين رجلا فأذنوا فأعجبه صوت أبى محذورة فعلمه الأذان " وأخرجه أيضا ابن حبان من طريق أخرى ورواه ابن خزيمة في صحيحه ، قال الزبير بن بكار : كان أبو محذورة أحسن الناس صوتا وأذانا ، ولبعض شعراء قريش في أذان أبى محذورة .

أما ورب الكعبة المستورة ... وما تلا محمد من سورة
والنغمات من أبى محذورة ... لأفعلن فعلة مذكورة

وفى رواية للترمذى بلفظ (فقم مع بلال فإنه أندى أو أمد صوتا منك فألق عليه ما قيل لك) .

تم بحمد الله وتوفيقه
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(٢٠١) حديث رؤيا الأذان .

(٢٠٢) نيل الأوطار ٢/٣٩٥ .

فهرس الموضوعات

المقدمة: ٧-١٦
تعريف التفسير وأنوعه
أ.د/ منيع عبد الحليم محمود ١٧-١٠٠
ترجمة القرآن الكريم ودراسة قضاياها
د/ جمعة على عبد القادر ١٠١-١٤٤
منهج المنار فى تفسير القرآن الكريم
أ.د/ محمد السيد راضى جبريل ١٤٥-٢٠١
العلمانيون وموقفهم من تفسير القرآن الكريم
د/ محمود محمد غطاس ٢٠٣-٢٧٧
الفقه والتجديد
د/ محمد سالم أبو عاصى ٢٧٩-٣٠٤
منهج القرآن فى بيان الأحكام
د/ محمود لطفى محمد جاد ٣٠٥-٣٥٢
منهج القرآن الكريم فى دعوته إلى العتق والحرية
د/ عبد الفتاح عبد الغنى العوارى ٣٥٣-٤٤٩
أولوا القربى فى القرآن الكريم
د/ طه عبد الخالق طيطة ٤٥١-٥١٣
قراءة الفاتحة فى الصلاة للإمام المأموم والمنفرد
د/ على بن عبد الرحمن الحسون ٥١٥-٥٨٥
أثر المقدمات فى تطور التفسير .....
د/ هيا ثامر ٥٨٧-٦٢٩
العلامة المهايمى
د/ الحسنين عبد الفتاح عبد الرحمن ٦٣١-٦٨٦
- ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم
- الدابة فى القرآن الكريم- دراسة دلالية وموضوعية.
- حمدى يازير الماليلى رحمه الله تعالى ومنهجه فى التفسير.
د/ محمد آيدين ٦٨٧-٧٦٧
ترجمة القرآن وأقوال العلماء فيها
د/ سالم عبد الخالق عبد الحميد السكرى ٧٦٩-٨٠٢
التبيان فى حكم التغنى بالقرآن
د/ إسامة احمد منصور مؤمن ٨٠٣-٨٣٩
فهرس الموضوعات ٨٤٠